بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بيَّن الإسلام النفاق وأنه على نوعين: عملي واعتقادي، فالنفاق الاعتقادي هو أن يبطن الكفر ويظهر الإسلام؛ وهؤلاء يعاملون بمعاملة أهل الإسلام ما لم يظهروا الكفر الصراح [1]، وأما النفاق العملي فهو اتصاف المسلم بصفات المنافقين التي نهى عنها الشرع وتضر بالمجتمع، وقد عرَّفنا الإسلام صفات أهل النفاق؛ ليحذر أهل الإسلام من الوقوع فيها، وليتحصنوا من إفسادهم ومفاسدهم، فأنزل الله سورة كاملة في كشف حالهم وأقوالهم فقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ۗ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:١-٤]، فالمنافقون هم العدوُّ الحقيقي لأهل الإسلام؛ وذلك لأنهم هم أهل الخداع، والقلوب المريضة بالشهوات والشبهات، وهم أهل الإفساد في صفوف المسلمين، لا يزيدون المسلمين إلا خبالًا، ولا يحدثون بينهم إلا فتنًا، يكرهون ظهور الحقِّ، ويحزنون لما يحصل لأهل الإيمان من النصر، يتربصون بأهل الإسلام الدوائر، فعند المخاوف تظهر كمائنُ صدورهم

(١) ينظر: القوانين الفقهية (٣٨٢)، ورسالة القيرواني (١٧٢).

وتدبُّ عقارب قلوبهم، يوادُّون من حادَّ الله ورسوله، ويتمنون العنت والمشقة لأهل الإسلام، البغضاء تظهر على فلتات لسانهم ويقولون ما ليس في قلوبهم، يدهم شحَّاء على المؤمنين، جبناء عند اللقاء، إذا جاء الأمن سلقوا المؤمنين بألسنة حداد، متلونون سريعو التقلب، يكتمون الحقَّ ويلبسون على الخلق، وتراهم يستهزئون بالدين وحملته، هم أخبث بني آدم وأرذلهم، يقصدون تفريق كلمة أهل الإيمان، ويؤوون من حارب الإسلام.

ومن صفاتهم أنهم يعارضون ما جاء به الرسول ﷺ بالعقول، وإذا حدثوا كذبوا، وإذا اؤتمنوا خانوا، وإذا عاهدوا غدروا، وإذا خاصموا فجروا، لا يأتون الصلاة إلا كسالى، هم أعذب الناس ألسنة وأمرهم أفئدة.

إذا دعوتهم إلى ما جاء به الرسول ﷺ أعرضوا ودعوك إلى طواغيتهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء:٦٠-٦٣]. قال ابن القيم رحمه الله: «وجملة

أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد، ويعرف حاله الناقد البصير من الناس، وقليل ما هم، وليس على الأديان أضرَّ من هذا الضرب من الناس، وإنما تفسد الأديان من قبلهم، ولهذا جلَّى الله أمرهم في القرآن، وأوضح أوصافهم، وبين أحوالهم، وكرر ذكرهم، لشدَّة المؤنة على الأُمة بهم، وعظم البليَّة عليهم بوجودهم بين أظهرهم، وفرط حاجتهم إلى معرفتهم، والتحرز من مشابهتهم والإصغاء إليهم» (٢).

ولما كان هذا وصفهم وحالهم خاف رسول الله ﷺ على الإسلام وأهله ضررهم وفسادهم، فقال رَسُولَ اللهِ ﷺ: « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ » (٣).

وإذا كان المنافقون في زمن النبوة بهذه الصورة فمنافقو آخر الزمان أشرُّ وأكثر وأشدُّ، وكما قال حذيفة رضي الله عنه: « الْمُنَافِقُونَ الْيَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يَكْتُمُونَهُ، وَهُمُ الْيَوْمَ يُظْهِرُونَهُ » (٤)، وكان مالك رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: «أُقْسِمُ لَكُمْ لَوْ نَبَتَ لِلْمُنَافِقِينَ أَذْنَابٌ مَا وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ أَرْضًا يَمْشُونَ عَلَيْهَا» (٥). ولا يعنى التحذير من النفاق رمي البريء به أو قذف الناس به بل المقصود الحذر منه والتحذير من صفاته لما يترتب عليه من ضرر على البلاد والعباد.

(٢) طريق الهجرتين (٢/٨٩٠)
(٣) رواه أحمد في مسنده (١٤٣).
(٤) حلية الأولياء (١/٢٨٠).
(٥) حلية الأولياء (٢/٣٧٦).

هم العدو فاحذروهم

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن فرحان الزروعي

@BaynootnanetUAE @Baynoonanet
www.baynoona.net